

مقالة الاقتصادية

النمو وحده لا يكفي!

وجهات نظر - العالم اليوم
يناير 2008

الأستاذ الدكتور
محمود محيي الدين
وزير الاستثمار



د/ محمود محيي الدين
اقتصادي وسياسي مصري

أمسية رمضان قضيته في بلدتي كفر شكر الواقعة في محافظة القليوبية، وكانت المناسبة لتوزيع الجوائز للفائزين في إحدى المسابقات التي تعقد في هذا الشهر لتلاميذ المدارس من حفظة القرآن الكريم. وقد رأى المنظّمون ألا تكون الجائزة للفائزين، فقط، من ذوي السبق في الحفظ والتجويد، ولكن لكل مشارك تكون، أيضاً، جائزة تحفيزاً وتقديراً. والجائزة رمزية ومعها ثلاثون من الجنيّات المصرية، وضعت في مظروف صغير والتقطت صور تذكارية.

وانتهى الحفل البسيط بسعادة ظاهرة علي الأطفال ... فمنهم من لم يحصل علي جائزة من قبل، ومنهم من لم ير هذا المبلغ البسيط من المال مجتمعاً في يده لعمل قام به ... ومنهم من لا تعنيه الجائزة النقدية بقدر الفوز والاحتفاء.

وكاد يخرج المحتفلون جميعاً، لولا صوت طفلة في الثامنة، أو نحوها، يكاد لا يبين بين صخب الخارجين من القاعة، فاستعانت بأحد ذويها يرفعها من الأرض لكي تظهر بين الناس .. فتواجه المنظم بكلمات مستفهمة ببساطة وبراعة .. "يا عمو" .. "وأنا أين جوابي؟" .. تقصد مظروف النقود الصغير، وعن بُعد قريب يقف ما يظهر أنهما أبوها وأمها معاً .. يقفان في حياء وتعفف .. ويوادر من أمل علي وجهيهما أن يلبي طلب ابنتهما حتى بعدما انفض الحفل .. فبادرت الطفلة شارحة أنها ذات حق كأقرانها وأنه لا ذنب لها في سهو المنظمين عن ذكر اسمها .. فما كان من المنظم إلا أن تدارك الأمر سريعاً فأتي بمظروف فائض، وأعطاه للطفلة التي أصرت علي أن تحظى بصورة تذكارية لكي يكتمل الأمر لها .. كاكتماله في ظنها لمن سبقها .. وكان من الواضح أنها أشد احتفالاً بالصورة التي التقطت منها بالمظروف الذي أعطته سريعاً لأُمها التي أمسكت به بتقدير ظاهر لما فيه رغم تواضعه ... وابتسامة تعلو وجهها محدثة زوجها في همس، ربما فيما يمكن فعله بهذا المبلغ مع إقبال العام الدراسي .. كأن يكمل ثمن حذاء .. أو تشتري به بعض الجوارب متواضعة الثمن .. أو يسدد جانباً من الرسوم المستحقة للمدرسة الابتدائية، والتي تبلغ خمسة وثلاثين جنيهاً.

إن هذا الحدث ليس فريداً، بل يتكرر بصور متباينة في مناسبات مختلفة وبشهود شتى .. ولكنني اصطحبته معي وأنا أطلع كتاباً صدر منذ شهور عن النمو والتقدم والسياسات المُحققة لهما .. وتحديدًا فيما يتعلق بالارتباط بين النمو ومكافحة الفقر وتحقيق الغنى.

ألف هذا الكتاب جريجوري كلارك "Gregory Clark"، أستاذ التاريخ والاقتصاد بجامعة كاليفورنيا-ديفيز ورئيس قسم الاقتصاد بها، والمتخصص في تحليل النمو الاقتصادي طويل الأجل وثروات الأمم، والمتبحر في دراسة التاريخ الاقتصادي لإنجلترا والهند. ذكر المؤلف في مقدمة كتابه المعنون "وداعاً للهبّات" ... تاريخ اقتصادي مختصر للعالم "A Farewell to Alms ... A Brief Economic History of the World" والذي يقع في ٤٢٠ صفحة، أن هذا الكتاب حصيلة عشرين عاماً من البحث والتحليل والتحري والتنقيب، مستعيناً بأرشيف من الوثائق التي علاها غبار السنين في إنجلترا، خاصة تلك المتعلقة بمستندات الملكية والحقائق الاقتصادية وتطورها على مدار ٨٠٠ سنة، حفظتها

^١ تترجم أيضاً بمعنى صدقات أو تبرعات.

السجلات وطوتها مصونة في دور حفظ الوثائق التي حماها استقرار فريد تمتعت به إنجلترا على مدار ما يقترب من ألفية كاملة من الزمان.

والكتاب قد كُتب عن قصد ومحاولة مخلص من مؤلفه على غرار النهج الذي خط به كتاب "ثروة الأمم" لأدم سميث، وكتاب "رأس المال" لكارل ماركس، على اختلاف منهجيهما وتباين ما استخلص منهما وما أحدثاه من جدل وما ترتب على إتباع ما فهم أو تصور لما جاء فيهما من رؤى وأفكار في صياغة السياسات الاقتصادية والاجتماعية .. بل في تشكيل مجتمعات برمتها .. لا أقول أن هذا الكتاب الجديد سيحدث ذات التأثير الممتد للكتابين العتيدين، ولكني أقول أن هذا الكتاب مثله مثل كتاب آخر أشار إليه المؤلف تحت عنوان "مدافع وجراثيم وصلب" "Guns, Germs & Steel"، الذي يأخذ هذا "المنهج الكبير" المتسع للباحث في تطور ثروات وفقر وغنى الأمم وأسبابها وما آلت إليه أحوالها مقارنة بنفسها وبغيرها عبر الوقت .. لا يخلو الكتاب من بعض مفاجآت قد يكون تأثيرها في جمعها في كتاب واحد يرصد التاريخ الاقتصادي منذ عام ١٠٠٠ قبل الميلاد حتى عام ٢٠٠٠ من الميلاد ولكن بتحليل أدق منذ عام ١٢٠٠ حتى عام ١٨٠٠ ثم بعمق في التحليل من عام ١٨٠٠ حتى الزمن الراهن.

وما يخلص إليه الكتاب يمكن تلخيصه فيما يأتي:

- إن معظم الناس قد عاشوا عند ذات المستوى من المعيشة مقاسة بالمكتسبات المادية دون فوارق ظاهرة لمدة تقترب من الألف عام السابقة على الثورة الصناعية.
- إن الحدث الأكبر في التاريخ الاقتصادي للعالم هو هذه الثورة الصناعية التي حققت معدلاً في النمو الاقتصادي يتجاوز عشرة أمثال ما كان عليه هذا النمو قبلها لما لا يقل عن ٣٪ في العام، منذ القرن الثامن عشر، وذلك في إنجلترا والبلدان الأخرى التي تحققت فيها أبعاد وأثار إيجابية لهذه الثورة الصناعية بعدها وبمقايير مختلفة.
- رغم النمو الهائل في الاقتصاد العالمي في القرنين الماضيين فإن الناس في بلدان كثيرة أسوأ حالاً مما كان عليه أبائهم في قرون مضت، بما يدحض فكرة الانسياب والتساقط "Trickle Down" التلقائي الشامل لآثار النمو المتحقق في بلدان الغنى والتقدم إلى بلدان الفقر والتخلف الاقتصادي.
- يمكن تفسير الزيادة المتحققة في النمو الاقتصادي، وبشكل قاطع من وجهة نظر المؤلف، من خلال ما أطلق عليه اكتشاف "المعرفة النافعة" وتوظيفها بكفاءة في العملية الاقتصادية المُحققة للتقدم.

وفي الكتاب نقد شديد لنظريات النمو الاقتصادي لعجزها عن تفسير هذا الاستقرار لمستوى معيشة متدن لفترة طويلة من الزمن اقتربت من آلاف السنين، بما جعل الإنجليز على سبيل المثال في منتصف القرن الثامن عشر يتطلعون إلى مجرد محاكاة نمط معيشة أهل روما من الناحية المادية في القرن الأول قبل الميلاد وينظرون إليه كنموذج يحتذى رغم ما يقرب من ١٨٠٠ عاماً بين أهل روما وهي في أوجها، قبل انحدارها، وأهل لندن وهم في مرحلة بدايات الثورة الصناعية، قبل صعودها، وكل ما كان يرجوه أهل لندن في مبلغ علمهم وقتها محاكاة لنموذج أهل روما من معيشة على ما ظنوه فيها من ترف في العيش أصبح محط أمالهم .. فإذا بأحفادهم ومن حاكوهم ثم من نافسوهم وتجاوزوهم بفضل تداعيات الثورة الصناعية، وما أحدثته بعدها، يبلغون مصاف في مستوى المعيشة المادي ما يعبر عنه هذا الشكل البياني:

متوسط دخل الفرد (عام ١٨٠٠ = ١)

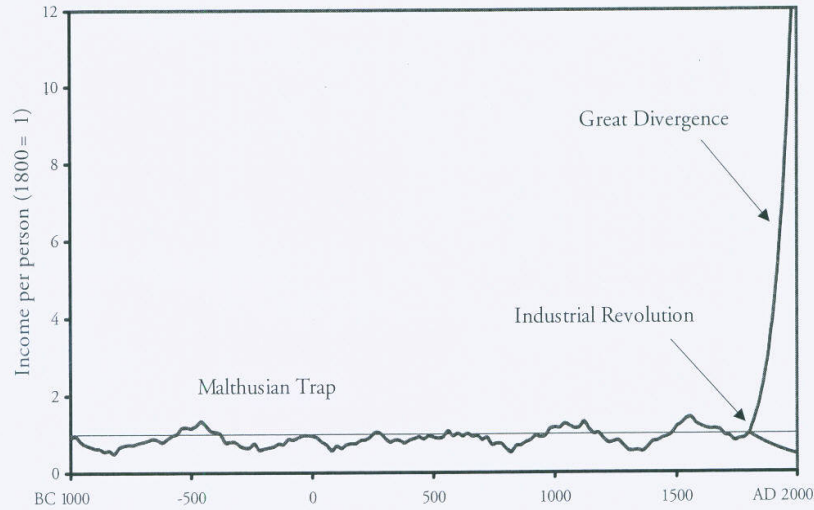


Figure 1.1 World economic history in one picture. Incomes rose sharply in many countries after 1800 but declined in others.

1000 قبل الميلاد -500 0 500 1000 1500 2000 بعد الميلاد

شكل رقم (١): التاريخ الاقتصادي للعالم في شكل واحد، ارتفعت الدخل بحدّة في دول كثيرة بعد عام ١٨٠٠، لكنها انخفضت في دول أخرى، وذلك مع تثبيت الأسعار عند مستواها في عام ١٨٠٠. المصدر: Clark (2007)، ص ٢.

ثم ينتقد كلارك نظريات النمو لعجزها عن تفسير هذا التباين الحاد في النمو بعد الثورة الصناعية عما كان قبلها حيث عاش الناس في ظل معدلات نمو متدنية، انخفضت في أحوال كثيرة عن معدل نمو السكان بما أوقع الناس فيما يعرف " بفخ مalthus " نسبة إلى توماس روبرت مalthus، صاحب الكتاب الشهير عن السكان الصادر في عام ١٧٩٨، وهذا هو فخ الفقر الذي يحدث عندما ينمو السكان بمعدل سنوي يزيد عما ينتجونه من سلع وخدمات بما يؤدي إلى تراجع مستوى المعيشة ثم الفقر بعدم القدرة على تلبية الاحتياجات الأساسية.

ويمكن اعتبار أن كتاب كلارك قد ساند وجهة نظر مalthus في تفسير أوضاع المعيشة للناس حتى عام ١٨٠٠، وأن الخلاص من فخ الفقر هو توظيف المعارف النافعة في تحقيق النمو الاقتصادي والتقدم وهو ما لم يدركه مalthus لأنه لم يشهد آثار الثورة الصناعية التي حققت هذا الانفلات من فخ الفقر، ولا يرى كلارك في الوقت ذاته وفقاً للمنهج الذي اتبعه من منظور التحليل التاريخي الاقتصادي أن نظريات النمو الاقتصادي المعروفة بمدارسها الثلاثة: مدرسة العوامل الخارجية والعوامل المؤسسية، ومدرسة نقاط التوازن المتعددة عبر الزمن، ومدرسة النمو الداخلي.

لم تعط هذه المدارس تفسيراً مقنعاً لأوضاع معيشة الناس قبل الثورة الصناعية أو بعدها. من وجهة نظر كلارك الذي يعول على المعرفة واكتشافها وتطويرها وتوظيفها بمهارة وكفاءة لكي يتحقق النمو والتقدم، وهو ما قد تكون قد اقتربت منه مدرسة النمو الداخلي خاصة فيما يتعلق بموضوع التعلم وأثره على النمو، ولكنها تضيف إليه عناصر أخرى تعتمد على إسهامات المدرستين الأخريين.

ولكن يذكرنا كلارك في أكثر من موضع في كتابه بأن وجهة نظره في تحقيق الطفرات في النمو الاقتصادي على شاكلة ما حدث إبان الثورة الصناعية وما بعدها على هذا النحو قد تطلب بيئة مواتية تحققت لإنجلترا ولم تتحقق لسواها في هذا الوقت لكي تنفلت من فخ الفقر وتودع اقتصادا يعتمد على الإقطاع الزراعي، تنعم به القلة وتعيش الأغلبية فيه على ما قد يمنح لها طوعاً أو كرهاً.

هذه البيئة التي ساندت النهضة والثورة الصناعية تمتعت باستقرار وانعزال عن الفوضى التي كانت تموج بها بلدان أخرى في أوروبا. حيث سادت في إنجلترا قيم لطبقة متوسطة أخذت في التعلم، والسعي إلى تطبيق قيم متوازنة للعمل، واحترام حرية الفكر، والدأب الشديد والإنتاجية العالية فيما تفعل، كما تولدت لهذه الطبقة رغبة عالية في الادخار، ليس تحوطاً فقط ضد تقلبات الزمن بل ثقة في عائد الادخار واستثماراً في المستقبل. وهذا ما أكد عليه بول جونسون في كتابه عن تاريخ الإنجليز ... من أن الانعزال عن الاضطرابات التي سادت أوروبا هو أهم الخيوط المميزة للتاريخ الإنجليزي وهذا الانعزال لم يكن مانعاً من التواصل والتعامل والتعاون مع الآخرين، ولكنه كان مانعاً من انتقال عدوى الفوضى التي سادت في بعض البلدان الأخرى، التي عزلتها عن هذه الجزيرة بحار مائعة من الولوج إليها ببسر، وسياجات حامية تكونت من ثقافة لطبقة وسطى ساعية إلى التقدم.

وهو ما يؤكد عليه كلارك أيضاً في تفسيره لتحقيق النمو والتقدم والآثار الإيجابية للثورة الصناعية والقدرات على توظيف المعارف النافعة بمهارة في العملية الاقتصادية في بلدان أخرى .. من ضرورة وجود هذه البيئة المواتية المساندة للنمو والتطور والإبداع.. وهو ما تحقق لبلدان أخذت تنتشل من فخ الفقر شعوبها وبفضل نمو متواصل مطرد لم يقل عن ٧٪ لمدة عشرين عاماً متواصلة.

فالنمو المتسارع للصين منذ عام ١٩٨٠ حقق لها القدرة على انتشار ٤٠٠ مليون من مواطنيها إلى ما فوق خط الفقر .. وإذا ما رجعنا إلى حالة الصين نفسها إلى عام ١٩٦٠ نجد أن النمو الاقتصادي فيها بمعدل ١٣,٧٪ سنوياً من هذا التاريخ قد حقق لها زيادة في متوسط الدخل في عام ٢٠٠٥ بأربعة عشر مثلاً لما كان عليه دخلها في عام ١٩٦٠ .. وقد حققت كوريا الجنوبية زيادة في متوسط دخل مواطنيها بلغت عشرة أمثال في أربعين سنة، وحققت سنغافورة زيادة مماثلة في خمس وثلاثين سنة.. وهناك أمثلة أخرى مماثلة كاليابان وماليزيا وتايلاند، أو أمثلة أقل انجازاً كالبرازيل .. لكن كل خبرات الدول المشار إليها قد اشتركت في تأكيد أن النمو الاقتصادي المطرد هو أكثر الأدوات كفاءة في تخفيض معدلات الفقر وتحقيق مستوى معيشة أفضل للفقر وتوفير خدمات تعليمية وصحية أفضل لهم.

ولكن النمو الاقتصادي وحده، وإن كان مطرداً، ليس إكسيراً ناجعاً .. وهو ما يذكرنا كلارك به في حديثه عن البيئة المواتية الصالحة والدافعة للنمو .. فغنى الأمم ونجاحها في مكافحة الفقر وتحقيقها للتقدم مرهون بإرساء العدالة بين الناس .. وفي المضمار الاقتصادي لا تتحقق هذه العدالة إلا بتكافؤ الفرص للناس كافة دون تمييز .. تكافؤ في فرص التعلم والتدريب والرعاية الصحية، ونصيب عادل من البنية الأساسية المعينة لهم على الانتقال والحركة سعياً وراء الرزق .. تكافؤ في فرص الحصول على الموارد الممكنة لهم في المنافسة من تمويل لإنشاء المشروعات والمشاركة فيها ملكية لها أو العمل فيها وتكافؤ في فرص الحصول على أراض ينشئون عليها مشروعاتهم.

ثم إذا دخلوا الأسواق بمنتجاتهم وخدماتهم تتحقق لهم عدالة المنافسة في أسواق تحكمها قواعد الكفاءة وتضبطها معايير رقابية حصيفة .. صارمة في تطبيق القانون دون تمييز .. مرنة في التطور، ملائمة للمستحدثات، ولما يستجد في الأنشطة الاقتصادية بفضل إبداع الناس وتجديدهم.

عندئذ يمكن الاطمئنان إلى أن الدخول المتحققة في قطاعات وأقاليم النمو ستولد دخلاً جديدة متدفقة، من خلال الطلب على المنتجات وزيادة الطلب على العمالة والتشغيل ومن ثم زيادة الدخول، وفقاً للآليات الراسخة "لأثر مضاعف الاستثمار والطلب" .. وهذا يأخذ وقته ومضماره ويتحرك بفاعلية كلما زادت مرونة الاقتصاد ودرجة استجابته من خلال أنشطة إنتاجية، ومدى اعتماده على مكونات محلية الإنتاج.

لاحظت على خاطري صورة هذه الطفلة، صاحبة الجائزة، وأنا أطلع ما جاء في هذا الكتاب من مسيرة النمو ومكافحة الفقر والشروط المرصودة فيه لمتطلبات التقدم^٢.. إن هذه الطفلة ذات الاستعداد الفطري والذهني للانطلاق والتعلم والتسابق والمنافسة وإثبات الذات، كحال أبناء وبنات عمرها^٣ من المصريين، يجب أن تحصل على فرصة متكافئة ومنافسة عادلة ليس فقط في مسابقة رمضانية ولكن في مسابقة الحياة .. إن هذه الطفلة ومثيلاتها كثيرات أراهن تواقات للمثابرة والاجتهاد، تعلماً، ثم مشاركة في سوق العمل، ثم انطلاقاً في قيادة المشروعات. إنها وأقرانها وقريناتها، لا ينتظرون جميعاً تساقط ثمار النمو من أهل الغنى.

ولكن هذه الطفلة وأقرانها لا يحتاجون إلا تكافؤاً في الفرص، في التعلم والتدريب والرعاية الصحية، ونصيباً من الخدمات العامة يعين على الحراك الاجتماعي الإيجابي، وهي قبل كل ذلك من مبادئ تحقيق العدالة بين الناس التي لا تتقدم الأمم إلا بها.

٢ نذكرنا المفكر المصري الكبير الدكتور/ زكي نجيب محمود - في كتابه حصاد السنين - "أن فكرة التقدم محتوية على وجوب التغير مع متغيرات الحضارات المتعاقبة والتطور الذي ينقل صورة الحياة نحو ما هو أعلى، ومعنى ذلك وجوب الاهتمام بالمصير، ولا ينفي هذا الاهتمام أن تגיע قوائمه مستندة على تراثنا الذي تركه لنا السلف، على ألا يكون في حياتنا الحاضرة بمثابة النهاية التي نقف عندها، بل يكون بين أيدينا نقطة ابتداء نجاوزها على مستلزمات حاضر حي ومستقبل مأمون."

٣ نقلاً عن الموقع الرسمي لمحافظة الإسكندرية على شبكة المعلومات الدولية أعلن وكيل وزارة التربية والتعليم بمحافظة الإسكندرية يوم الأحد الثاني من ديسمبر ٢٠٠٧ "أن ثلاثة تلاميذ من أبناء المحافظة حصدا المراكز الأولى في مسابقة أذكى أذكاء العالم الرابعة عشر في مجال الحسابات العقلية والتي شارك فيها ٢٧٠٠ طالب وطالبة من ٣٥ دولة. وقال إن المسابقة أقيمت في ماليزيا ونظمتها هيئة "يو سي ماس"، لافتاً إلى أن المسابقة تعتمد على قياس قدرة الطالب في الإجابة على ١٠٠ مسألة حسابية في زمن أقصاه ٨ دقائق دون استخدام الآلة الحاسبة. وأضاف أن الطالبة "سارة يحيى حسن" من مدرسة "نيوغ الابتدائية" حصلت على المركز الأول تحت سن ٧ سنوات، كما حصلت الطالبة "ريناد صبري القاضي" من مدرسة "السيكرد هارت" على المركز الأول والطالب "تقي أيمن رشاد" على المركز الثاني في منافسات تحت سن ٩ سنوات. ويذكر الخبر أن مصر تعد الدولة الأولى التي تحصل على أكثر من مركز متقدم على مدار تاريخ البطولة."

الكتب وجهات نظر

في الثقافة والسياسة والفكر

Weghat Nazar - Volume 9 - Issue 108 - January 2008

مجلة شهرية، العدد المائة والثمانية، السنة التاسعة، يناير ٢٠٠٨، الثامن عشرة جنيهاً

2007

الكتب .. مراجعة المراجعات .. وجائزة لتداول الساطة!

« ثلاث سلامات » .. زمن محمود الشريف



خمس النونى ٢٠٠٧

النمو وحده لا يكفي!



أمسكت به بتقدير ظاهر لما فيه رغم تواضعه.. وابتسامة تعلو وجهها محدثة زوجها في همس، ربما فيما يمكن فعله بهذا المبلغ مع إقبال العام الدراسي.. كأن يكمل ثمن حذاء.. أو تشتري به بعض الجوارب متواضعة الثمن.. أو يسدد جانباً من الرسوم المستحقة للمدرسة الابتدائية والتي تبلغ خمسة وثلاثين جنيهاً.



إن هذا الحدث ليس فريداً بل يتكرر بصور متباينة في مناسبات مختلفة ويشهود شتى.. ولكن اصطعبته معي وأنا أطلع كتاباً صدر منذ شهور عن النمو والتقدم والسياسات المحققة لهما.. وتحديداً فيما يتعلق بالارتباط بين النمو ومكافحة الفقر وتحقيق الغنى.

ألف هذا الكتاب جريجوري كلارك Gregory Clark، أستاذ التاريخ والاقتصاد بجامعة كاليفورنيا-ديفيز ورئيس قسم الاقتصاد بها، والمتخصص في تحليل النمو الاقتصادي طويل الأجل وثروات الأمم، والمثير في دراسة التاريخ الاقتصادي لـ إنجلترا والهند. ذكر المؤلف في مقدمة كتابه المعلن «وداعاً للهيئات» تاريخ اقتصادي مختصر للعالم A Brief Economic History of The World والذي يقع في ٤٢٠ صفحة، أن هذا الكتاب حصيلة عشرين عاماً من البحث والتحليل والتحرر والتنقيب، مستعيناً بأرشيف من الوثائق التي علاها غبار الستين في إنجلترا، خاصة تلك المتعلقة بمستندات الملكية والحقائق الاقتصادية وتطورها على مدار ٨٠٠ سنة، حفظتها المسجلات ومطوتها مصنونة في دور حفظ الوثائق التي حماها استقرار فريد تمتعت به إنجلترا على مدار ما يقرب من ألفية كاملة من الزمان.

والكتاب قد كتب عن قصد ومحاولة مخلص من مؤلفه على غرار النهج الذي لحظ به كتاب «ثروة الأمم» لأدم سميث وكتاب «رأس المال» لكارل ماركس، على اختلاف منهجيهما وتباين ما استخلص منهما وما أحدثاه من جدل وما تتركب

العدد المائة وثمانية - يناير ٢٠٠٨ م



حسني النوري ٢٠٠٦

محمود محيي الدين

■ أمسية رمضان في قضيبتها في بلدتي كفر شكر الواقعة في محافظة القليوبية، وكانت المناسبة لتوزيع الجوائز للفائزين في إحدى المسابقات التي تعقد في هذا الشهر لتلاميذ المدارس من حفظة القرآن الكريم. وقد رأى المنظمون ألا تكون الجائزة للفائزين فقط من ذوي السبق في الحفظ والتجويد، ولكن كل مشارك تكون له أيضاً جائزة تحفيزاً وتقديراً.. والجائزة رمزية ومعها ثلاثون من الجنيئات المصرية، وضعت في مطرّوف صغير والتقطت صور تذكارية. وانتهى الحفل البسيط بسعادة ظاهرة على الأطفال.. فمتهم من لم يحصل على جائزة من قبل، ومنهم من لم ير هذا المبلغ البسيط من المال مجتمعاً في يده لعمل قام به.. ومنهم من لا تعنيه الجائزة النقدية بقدر الفوز والاحتفاء.

وكاد يخرج المحتفلون جميعاً، لولا صوت طفلة في الثامنة أو نحوها يكاد لا يبين بين صخب الخارجيين من القاعة، فاستعانت بأحد ذويها يرفعها من الأرض لكي تظهر بين الناس.. فتواجه المنظم بكلمات مستفهمة ببساطة وبراءة: «يا عمو... وأنا أين جوابي؟».. تقصد مطرّوف النقود الصغير، وعن بعد قريب يقف ما يظهر أنهما أبوها وأميها معاً.. يقفان في حياء وتعتف.. ويوادر من أمل على وجهيهما أن يلي طلب ابنتهما حتى بعدما انفض الحفل.. فبادرت الطفلة شارحة أنها ذات حق كأقرانها وأنه لا ذنب لها في سهو المنظمين عن ذكر اسمها.. فما كان من المنظم إلا أن تدارك الأمر سريعاً فأتى بمطرّوف فانض، وأعطاه للطفلة التي أصرت على أن تحظى بصورة تذكارية لكي يكتمل الأمر لها.. كاكتماله في ظننا ثن سيقها.. وكان من الواضح أنها أشد احتفاءً بالصورة التي التقطت منها بالمطرّوف الذي أعطته سريعاً لأميها التي

Farewell to Alms... A Brief Economic History of The World (وداعاً للهيئات... تاريخ اقتصادي مختصر للعالم)

Gregory Clark
Princeton University Press,
Princeton and Oxford: 2007, 420pp

وجهات نظر ١٨



معظم الناس قد عاشوا عند ذات المستوى من المعيشة مقاسة بالمكتسبات المادية دون فوارق ظاهرة لمدة تقترب من الألف عام السابقة على الثورة الصناعية



البلدان الأخرى، التي عزلتها عن هذه الجزيرة بحار مائعة من الولوج إليها بيسر، وسيجات حامية تكونت من شقافة لطيفة وسطى ساعية إلى التقدم.

وهو ما يؤكد عليه كلارك أيضاً في تفسيره لتحقيق النمو والتقدم والآثار الإيجابية للثورة الصناعية والقدرات على توظيف المعارف النافعة بمهارة في العملية الاقتصادية في بلدان أخرى... من ضرورة وجود هذه البيئة المواتية المساعدة للنمو والتطور والإبداع... وهو ما تحقق لبلدان أختنت تنتشل من فخ الفقر شعوبها ويفضل نمو متواصل مطرد لم يقل عن ٢٧ لمدة عشرين عاماً متواصلة.



فانهم المتسارع للصين منذ عام ١٩٨٠ حقق لها القدرة على انتقال ٤٠٠ مليون من مواطنيها إلى ما فوق خط الفقر... وإذا ما رجعنا إلى حالة الصين نفسها إلى عام ١٩٦٠ نجد أن النمو الاقتصادي فيها بمعدل ٧,٣٪ سنوياً من هذا التاريخ قد حقق لها زيادة في متوسط الدخل في عام ٢٠٠٥ بأربعة عشر مثلاً لما كان عليه دخلها في عام ١٩٦٠... وقد حققت كوريا الجنوبية زيادة في متوسط دخول مواطنيها بلغت عشرة أمثال في أربعين سنة، وحققت سنغافورة زيادة مماثلة في خمس وثلاثين سنة... وهناك أمثلة أخرى مماثلة كاليابان وما ليزيا وتايلاند، أو أمثلة أقل إنجازاً كالبرازيل... لكن كل خبرات الدول المشار إليها قد اشتركت في تأكيد أن النمو الاقتصادي المطرد هو أكثر الأدوات كفاءة في خفض معدلات الفقر وتحقيق مستوى معيشة أفضل للفقر وتوفير خدمات تعليمية وصحية أفضل لهم.

ولكن النمو الاقتصادي وحده، وإن كان مطرداً، ليس كسيراً نافعاً... وهو ما يذكرنا كلارك به في حديثه عن البيئة المواتية للصحة والنافعة للنمو... فغنى الأمم ولجأها في مكافحة الفقر وتحقيقها للتقدم مرهون بإرساء العدالة بين الناس... وفي المضمون



١٩ وجهات نظر

فخ الفقر، ولا يرى كلارك في الوقت ذاته وفقاً للمنهج الذي اتبعه من منظور التحليل التاريخي الاقتصادي أن نظريات النمو الاقتصادي المعروفة بمدارسها الثلاث: مدرسة العوامل الخارجية والعوامل المؤسسية، ومدرسة نقاط التوازن المتعددة عبر الزمن، ومدرسة النمو الداخلي.

لم تغط هذه المدارس تفسيراً مقنعاً لأوضاع معيشة الناس قبل الثورة الصناعية أو بعدها. من وجهة نظر كلارك الذي يمول على المعرفة واكتشافها وتطويرها وتوظيفها بمهارة وكفاءة لكي يتحقق النمو والتقدم، وهو ما قد تكون قد اقترنت منه مدرسة النمو الداخلي خاصة فيما يتعلق بموضوع التعلم وأثره على النمو، ولكنها تضيف إليه عناصر أخرى تعتمد على إسهامات المدرستين الأخريين.

ولكن يذكرنا كلارك في أكثر من موضع في كتابه بأن وجهة نظره في تحقيق الطفرات في النمو الاقتصادي على شاكلة ما حدث إبان الثورة الصناعية وما بعدها على هذا النحو، قد تطلب بيئة مواتية تحققت لإنجلترا ولم تتحقق لسواها في هذا الوقت لكي تنفصلت من فخ الفقر وتوسع اقتصاداً يعتمد على الإلهام الزراعي، تنعم به القلة وتعيش الأغلبية فيه على ما قد يمنع لها طوعاً أو كرهاً..

هذه البيئة التي ساندت النهضة والثورة الصناعية تمتعت باستقرار وانعزال عن الفوضى التي كانت تنوح بها بلدان أخرى في أوروبا. حيث سادت في إنجلترا قيم لطيفة متوسطة أخذت في التعلم، والسعى إلى تطبيق قيم متوازنة للعمل، واحترام حرية الفكر، والداب الشديد والإنتاجية العالية فيما تسعمل، كما تولدت لهذه الطبقة رغبة عالية في الادخار، ليس تحوطاً فقط ضد تقلبات الزمن بل ثقة في عائد الادخار واستثماراً في المستقبل. وهذا ما أكد عليه بول جونسون في كتابه عن تاريخ الإنجليز... من أن الانعزال عن الاضطرابات التي سادت أوروبا هو أهم الخيوط المميزة للتاريخ الإنجليزي، وهذا الانعزال لم يكن مانعاً من التواصل والتعامل والتعاون مع الآخرين، ولكنه كان مانعاً من انتقال عدوى الفوضى التي سادت في بعض

بكفاءة في العملية الاقتصادية المحققة للتقدم.

وفي الكتاب نقد شديد لنظريات النمو الاقتصادي لعجزها عن تفسير هذا الاستقرار لمستوى معيشة مثمن لفترة طويلة من الزمن اقترنت من آلاف السنين، بما جعل الإنجليز على سبيل المثال في منتصف القرن الثامن عشر يتطلعون إلى مجرد محاكاة نمط معيشة أهل روما من الناحية المادية في القرن الأول قبل الميلاد، وينظرون إليه كنموذج يحتذى رغم ما يقرب من ١٨٠٠ عام بين أهل روما وهي في أوجها، قبل انحدارها، وأهل لندن وهم في مرحلة بدايات الثورة الصناعية، قبل صعودها، وكل ما كان يرجوه أهل لندن في مبلغ علمهم وقتها محاكاة لنموذج أهل روما من معيشة على ما ظنوه فيها من ترف في العيش أصبح محط آمالهم... فإذا بأحفادهم ومن حاكوهم ثم من نافسوهم وتجاوزوهم بفضل تداعيات الثورة الصناعية، وما أحدثته بعدها، يبلغون مصاف في مستوى المعيشة المادي ما يعبر عنه هذا الشكل البياني.

ثم ينتقد كلارك نظريات النمو لعجزها عن تفسير هذا التباين الحاد في النمو بعد الثورة الصناعية عما كان قبلها حيث عاش الناس في ظل معدلات نمو متدنية، انخفضت في أحوال كثيرة عن معدل نمو السكان بما أوقع الناس فيما يعرف، بفخ مالتوس، نسبة إلى توماس روبرت مالتوس، صاحب الكتاب الشهير عن السكان الصادر في عام ١٧٩٨، وهذا هو فخ الفقر الذي يحدث عندما ينمو السكان بمعدل سنوي يزيد عما ينتجونه من سلع وخدمات بما يؤدي إلى تراجع مستوى المعيشة ثم الفقر بعدم القدرة على تلبية الاحتياجات الأساسية.



ويمكن اعتبار أن كتاب كلارك قد ساند وجهة نظر مالتوس في تفسير أوضاع المعيشة للناس حتى عام ١٨٠٠، وأن الخلاص من فخ الفقر هو توظيف المعارف النافعة في تحقيق النمو الاقتصادي والتقدم وهو ما لم يدركه مالتوس لأنه لم يشهد آثار الثورة الصناعية التي حققت هذا الانفلات من

على اتجاها ما فهم أو تصور لما جاء فيهما من رؤى وأفكار في صياغة السياسات الاقتصادية والاجتماعية... بل في تشكيل مجتمعات برمتها... لا أقول إن هذا الكتاب الجديد سيحدث ذات التأثير الممتد للكتابين العتيدين، ولكني أقول إن هذا الكتاب مثله مثل كتاب آخر أشار إليه المؤلف تحت عنوان: «Guns, Germs & Steel» الذي يأخذ هذا «المنهج الكبير، المتسع للباحث في تطور ثروات وفقر وغنى الأمم وأسبابها وما الت إليه أحوالها مقارنة بنفسها وبغيرها عبر الوقت... لا يخلو الكتاب من بعض مفاجآت قد يكون تأثيرها في جمعها في كتاب واحد يرصد التاريخ الاقتصادي منذ عام ١٠٠٠ قبل الميلاد حتى عام ٢٠٠٠ من الميلاد ولكن بتحليل أدق منذ عام ١٢٠٠ حتى عام ١٨٠٠ ثم بعمق في التحليل من عام ١٨٠٠ حتى الزمن الراهن.

وما يخلص إليه الكتاب يمكن تلخيصه فيما يأتي:

✦ إن معظم الناس قد عاشوا عند ذات المستوى من المعيشة مقاسة بالمكتسبات المادية دون فوارق ظاهرة لمدة تقترب من الألف عام السابقة على الثورة الصناعية.

✦ إن الحدث الأكبر في التاريخ الاقتصادي للعالم هو هذه الثورة الصناعية التي حققت معدلاً في النمو الاقتصادي يتجاوز عشرة أمثال ما كان عليه هذا النمو قبلها لما لا يقل عن ١٣٪ في العام، منذ القرن الثامن عشر، وذلك في إنجلترا والبلدان الأخرى التي تحققت فيها أبعاد وأثار إيجابية لهذه الثورة الصناعية بعدها ويمتدادير مختلفة.

✦ رغم النمو الهائل في الاقتصاد العالمي في القرنين الماضيين فإن الناس في بلدان كثيرة أسوأ حالاً مما كان عليه أبائهم في قرون مضت، بما يدحض فكرة الأسباب والتساقط «Trickle Down» التلقائي الشامل لأثار النمو لتحقيق في بلدان الغنى والتقدم إلى بلدان الفقر والتخلف الاقتصادي.

✦ يمكن تفسير الزيادة المتحققة في النمو الاقتصادي، وبشكل قاطع من وجهة نظر المؤلف، من خلال ما أطلق عليه اكتشاف «المعرفة النافعة»، وتوظيفها

المعد المالية وثمانيه - يناير ٢٠٠٨ م

في النمو والتقدم والعدالة بين الناس



مسابقة رمضانية ولكن في مسابقة الحياة.. إن هذه الطفلة ومثيلاتها كثيرات أراهن نوافقات للمثابرة والاجتهاد، تملئاً، ثم مشاركة في سوق العمل، ثم انطلاقاً في قيادة المشروعات، إنها وأقرانها وقرياتها، لا ينتظرون جميعاً تساقط ثمار النمو من أهل الغنى. ولكن هذه الطفلة وأقرانها لا يحتاجون إلا تكافؤاً في الفرص، في التعلم والتدريب والرعاية الصحية، ونصيباً من الخدمات العامة يعين على الحراك الاجتماعي الإيجابي، وهي قبل كل ذلك من مبادئ تحقيق العدالة بين الناس التي لا تتقدم الأمم إلا بها. ■

هوامش:

١. تترجم أيضاً بمعنى صفقات أو تجربات.
٢. يتكررا الفكر المصري الكبير الدكتور/ زكي نجيب محمود - في كتابه حصاد المستن - أن فكرة التقدم محتوية على وجوب التغيير مع متغيرات الحضارات الثقافية والتطور الذي يظل صورة الحياة نحو ما هو أعلى. ومعنى ذلك وجوب الاهتمام بالمعير، ولا ينفي هذا الاهتمام أن نجىء قولاً مستندة على لرائنا الذي نركه لنا السلف، على ألا يكون في حياتنا الحاضرة بمثابة النهاية التي نقف عندها، بل يكون بين أيدينا نقطة ابتداء نجاوزها على مستلزمات حاضرة ومستقبل مأمون.
٣. نقلاً عن الموقع الرسمي لمحافظة الاسكندرية على شبكة المعلومات الدولية أمن وكيل وزارة التربية والتعليم بمحافظه الإسكندرية يوم الأحد الثاني من ديسمبر ٢٠٠٧، أن ثلاثة تلاميذ من أبناء المحافظة حصلوا المركز الأول في مسابقة أدبيات الكتاب العالم الرابعة عشرة في مجال الحسابات العقلية والتي شارك فيها ٢٧٠٠ طالب ومثالية من ٣٥ دولة. وقال إن المسابقة أقيمت في ماليزيا ونظمها هيئة «يوسى ماس» لافتاً إلى أن المسابقة تعتمد على قياس قدرة الطالب في الإجابة على ١٠٠ مسألة حسابية في زمن اقضاء ٨ دقائق باستخدام الآلة الحاسبة. وأضاف أن الطالب، سارة يحيى حسن، من مدرسة «نبوغ الابتدائية»، حصلت على المركز الأول تحت سن ٧ سنوات، كما حصلت الطالبة «ريتا صبري القاضى» من مدرسة «السيكره هارت» على المركز الأول والطالب «تقرايمن رشاد» على المركز الثاني في منافسات تحت سن ٩ سنوات. ويذكر الخبر أن مصر تعد الدولة الأولى التي تحصل على أكثر من مركز متقدم على مدار تاريخ البطولة.

العدد المائة وثمانية - يناير ٢٠٠٨ م

العدالة إلا بتكافؤ الفرص للناس كافة دون تمييز.. تكافؤ في فرص التعلم والتدريب والرعاية الصحية، ونصيب عادل من الجنية الأساسية المعينة لهم على الانتقال والحركة سعياً وراء الرزق.. تكافؤ في فرص الحصول على الموارد الممكنة لهم في المنافسة من تمويل لإنشاء المشروعات والمشاركة فيها ملكية لها أو العمل فيها وتكافؤ في فرص الحصول على أراض ينشئون عليها مشروعاتهم.

ثم إذا دخلوا الأسواق بمنتجاتهم وخدماتهم تحقق لهم عدالة المنافسة في أسواق تحكمها قواعد الكفاءة وتضبطها معايير رقابية حصيفة.. صارمة في تطبيق القانون دون تمييز.. مرنة في التطور، ملاحقة للمستحدثات، ولما يستجد في الأنشطة الاقتصادية بفضل إبداع الناس وتجديدهم.

عندئذ يمكن الاطمئنان إلى أن الدخول المتحققة في قطاعات وإقليم النمو ستولد دخلاً جديدة متدفقة، من خلال الطلب على المنتجات وزيادة الطلب على العمالة والتشغيل ومن ثم زيادة الدخول، وفقاً للآليات الراسخة «لأثر مضاعف الاستثمار والطلب»... وهذا يأخذ وقته ومضماره ويتحرك بفاعلية كلما زادت مرونة الاقتصاد ودرجة استجابته من خلال أنشطة إنتاجية، ومدى اعتماده على مكونات محلية الإنتاج.



لاحظت على خاطري صورة هذه الطفلة، صاحبة الجائزة، وأنا أطلع ما جاء في هذا الكتاب من مسيرة النمو ومكافحة الفقر والشروط المرصودة فيه لمتطلبات التقدم^(١)... إن هذه الطفلة ذات الاستعداد الفطري والذهني للانطلاق والتعلم والتسابق والمنافسة وإثبات الذات كحال أبناء وبنات عمرها^(٢) من المصريين، يجب أن تحصل على فرصة متكافئة ومنافسة عادلة لهم فقط في

-النمو وحده لا يكفي-

«باعمو» .. «وانا أين جواي» .. تقصد مطروف النقود الصغير وعن بعد قريب يفك من ظهر انهما أيوها وأمها صعا .. يقفان في حياء وتتعفف .. ويوادر من امل على وجهيهما ان يلبي طلب ابنتهما حتى بعدما انفض الحفل .. فبادرت الطفلة شارحة أنها ذات حق كاقرائها وانه لا نيب لها في سهو المنظمين عن ذكر اسمها..فما كان من المنظم إلا ان تدارك الامر سريعا فاتي بمطروف فائض واعطاه للطفلة التي اصرت على ان تحظى بصورة تذكارية لكي يكتمل الامر لها .. كاكتماله في ظننا لمن سبقها .. وكان من الواضح انها اشد احتفالا بالصورة التي التقطت لها بالمطروف الذي اعطته سريعا لأمها التي امسكت به بتقدير ظاهر لما فيه رغم تواضعه .. وابتهامة تعلق وجهها محددة زوجها في همس ربما فيما يمكن فعله بهذا المبلغ مع اقبال العام الدراسي .. كان يكمل ثمن حذاء .. او تشتري به بعض الجوارب متواضعة الزمن .. او يسدد جانباً من الرسوم المستحقة للمدرسة الابتدائية والتي تبلغ 35 جنيهًا.



بقلم

د. محمود مجيب الدين

أسسية رمضان قضيتهما في بلدتي كفر شكر الواقعة في محافظة القليوبية وكانت المناسبة هي توزيع الجوائز للفائزين في إحدى المسابقات التي تعقد في هذا الشهر لتلاميذ المدارس من حفلة القرآن الكريم وقد رأى المنظمون الا تكون الجائزة للفائزين فقط من ذوي السبق في الحفظ والتجويد ولكن لكل مشارك تكون ايضا جائزة تحفيز وتقدير.. والجائزة رمزية ومعها ثلاثون من الجنيهاات المصرية وضعت في مطروف صغير والتقطت صور تذكارية. وانتهى الحفل البسيط بسعادة ظاهرة على الاطفال .. فمنهم من لم يحصل على جائزة من قبل ومنهم من لم ير هذا المبلغ البسيط من المال مجتمعاً في يده لعمل قام به ..ومنهم من لاتعنيه الجائزة النقدية بقدر الفوز والاحتفاء. وكاد يخرج المحتفلون جميعاً لولا صوت طفلة في الثامنة او نحوها يكاد لا يبين بين صخب الخارجين من القاعة فاستعانت باحد ذويها برفعها من الارض لكي تظهر بين الناس .. فتواجه المنظم بكلمات مستهمة ببساطة براءة ..

غنى الأمم ونجاحها في مكافحة الفقر .. مرهون بالعدالة
لا تتحقق العدالة إلا بتكافؤ الفرص للناس كافة دون تمييز
الخلاص من فخ الفقر مرتبط بتوظيف المعارف في سبيل النمو

العالم اليوم

٢٠٠٨/١/١٤

العالم اليوم

٢٠٠٨/١/١٤



هذه الطفلة ومثيالاتها لا ينتظرن تساقط ثمار النمو.. من أهل الفنى

حيث سادت في إنجلترا قيم لطيفة متوسمة أخذت في التعلم والسعى الى تطبيق قيم متوازنة للعمل واحترام حرية الفكر والذات الشديداً والانتاجية العالية فيما تفعل كما تولدت لهذه الطبقة رغبة عالية في الادخار ليس تحوطاً فقط ضد تقلبات الزمن بل لغة في المستقبل وهذا ما أكد عليه بول جونسون في كتابه عن تاريخ الإنجليز.. من أن الانعزال عن الاضطرابات التي سادت أوروبا هو أهم الخيوط المميزة للتاريخ الإنجليزي وهذا الانعزال لم يكن مانعاً من التواصل والتعامل مع الآخرين ولكنه كان مانعاً من انتقال عدوى الفوضى التي سادت في بعض البلدان الأخرى التي عزلتها عن هذه الجزيرة بحار مائعة من الولوج السحابي وسياجيات حامية تكونت من ثقافة لطيفة وسلي ساعية الى التقدم. وهو ما يؤكد عليه كلارك ايضا في تفسيره لتحقيق النمو والتقدم والانوار

لاوضاع معيشة الناس قبل الثورة الصناعية او بعدها من وجهة نظر كلارك الذي يعود على المعرفة واكتشافها وتطويرها وتوظيفها بمهارة وكفاءة لكي يتحقق النمو والتقدم وهو ما قد تكون قد اقتربت منه مدرسة النمو الداخلي خاصة فيما يتعلق بموضوع التعلم واتره على النمو ولكنها تضيف اليه عناصر أخرى تعتمد على اسهامات المدرسين الآخرين. ولكن يذكرنا كلارك في اكلير من موضع في كتابه بأن وجهة نظره في تحقيق الطلوات في النمو الاقتصادي على شاكلة ما حدث ابان الثورة الصناعية وما بعدها على هذا النحو قد تعطل بيته موانية تحقق لانجلترا ولم تتحقق لسواها في في هذا الوقت لكي تنتقلت من فخ الفسفر وتوسع اقتصادا يعتمد على الانفتاح الزراعي تنعم به الفلة وتعيش الاغلبية فيه على ما قد يمتح لها طوعا او غرها. هذه البيئة التي سادت النهضة والنمو الصناعية تمتعت باستقرار وانعزال عن الفوضى التي كانت تواج بها بلدان أخرى في أوروبا

والتخلف الاقتصادي.

يمكن تفسير الزيادة المتحققة في النمو الاقتصادي وبشكل قاطع من وجهة نظر المؤلف من خلال ما اطلق عليه اكتشاف «المعرفة الشافعة» وتوظيفها بكفاءة في العملية الاقتصادية المحلقة للتقدم. وفي الكتاب نقد شديد لنظريات النمو الاقتصادي لعجزها عن تفسير هذا الاستقرار لمستوى معيشة مدته لفترة طويلة من الزمن اقتربت من آلاف السنين بما جعل الانجليز على سبيل المثال في منتصف القرن الثامن عشر يتطلعون الى مجرد محاكاة نمط معيشة اهل روما من الناحية المادية في القرن الاول قبل الميلاد وينظرون اليه كنموذج يحتذى رغم ما يقرب من 1800 عام بين اهل روما وفي في اوجها قبل انحساره واهل لندن وهم في مرحلة بدايات الثورة الصناعية قبل صعودها وكل ما كان يروجوه اهل لندن في مبلغ علمهم ولقنها محاكاة لنموذج اهل روما من معيشة على صافنوه فيها من ترف في العيش اصبح محط امالهم .. فاذا باقتصادهم ومن حاكمهم ثم من نافسهم وتجاوزهم بفضل تداعيات الثورة الصناعية وما أحدثته بعدها يبلغون مصافاً في مستوى المعيشة المادي مايعبر عنه هذا الشكل البياني.

ثم يتنقد كلارك نظريات النمو لعجزها عن تفسير هذا التحيز الجاد في النمو بعد الثورة الصناعية عما كان قبلها حيث عاش الناس في ظل معدلات نمو متدنية انخفضت في احوال كثيرة عن معدل نمو السكان بما اوقع الناس فيما يعرف بفخ مالتوس «نسبة الى توماس روبرت مالتوس صاحب الكتاب الشهير عن السكان الصادر في عام 1798 وهذا هو فخ الفقر الذي يحدث عندما ينمو السكان بمعدل سنوي يزيد عما يتجوزونه من سلع وخسومات بما يؤدي الى تراجع مستوى المعيشة ثم الفقر بعدم القدرة على تلبية الاحتياجات الاساسية.

ويمكن اعتبار ان كتاب كلارك قد ساند وجهة نظر مالتوس في تفسير اوضاع المعيشة للناس حتى عام 1800 وان الخلاص من فخ الفقر هو توظيف المعارف الشافعة في تحقيق النمو الاقتصادي والتقدم وهو ما لم يدركه مالتوس لانه لم يشهده اثار الثورة الصناعية التي حققت هذا الانطلاق من فخ الفقر ولا يرى كلارك في الوقت ذاته وفقاً للمنهج الذي اتبعه من منظور التحليل التاريخي الاقتصادي ان نظريات النمو الاقتصادي المعروفة بمدارسها الثلاثة: مدرسة العوامل الخارجية والعوامل المؤسسية ومدرسة نقاط التوازن المتعددة عبر الزمن ومدرسة النمو الداخلي.

لم تعط هذه المدارس تفسيراً مقنعاً

ان هذا الحدث ليس فريدا بل يتكرر بصورة متباينة في مناسبات مختلفة ويشهود شتي .. ولكن اصطاحته معي وأنا اطالع كتابا صدر منذ شهور عن النمو والتقدم والسياسات المحلقة لهما .. وتحديدا فيما يتعلق بالارتباط بين النمو ومكافحة الفقر وتحقيق الغنى.

الف هذا الكتاب جريجوري كلارك GREGORY Clark استاذ التاريخ والاقتصاد بجامعة كاليفورنيا - ديفيز ورئيس قسم الاقتصاد بها والتخصص في تحليل النمو الاقتصادي طويل الاجل وثورات الامم والمسيح في دراسة التاريخ الاقتصادي لانجلترا والهند .. ذكر المؤلف في مقدمة كتابه المعنون «وداعا للهيئات» .. تاريخ اقتصادي مختصر للعالم

A Farewell To Alma... A Brief Economic History Of The World

والذي يقع في 420 صفحة ان هذا الكتاب حصيلة 20 عاما من البحث والتحليل والتحرير والتقصيب مستعينا بارشيف من الوثائق التي علاها غيسار السن في إنجلترا خاصة تلك المتعلقة بمستندات الملكية والحقوق الاقتصادية وتطورها على مدار 800 سنة حفظتها السجلات وطوتها مصونة في دور حفظ الوثائق التي حماها استقرار فريد تمتعت به إنجلترا على مدار مايقرب من الفة كاملة من الزمان.

والكتاب قد كتب عن قصد ومحاولة مخصصة من مؤلفه على غرار النهج الذي خط به كتاب «ثروة الأمم» لادم سميث وكتاب «راس المال» لكارل ماركس على اختلاف منهجيهما وتباين ما استخلص منهما وما أحدثاه من جدل وماترتب على اتباع مفاهيم او تصور لما جاء فيهما من رؤى وافكار في صياغة السياسات الاقتصادية والاجتماعية .. بل في تشكيل مجتمعات برمتها .. لا اقول ان هذا الكتاب الجديد سيحدث ذات التأثير الممتد للكتابين العتيدين ولكني اقول ان هذا الكتاب مثله مثل كتاب آخر اشار اليه المؤلف تحت عنوان «مدافع وجسر اليم وصلب» Guns Germs & Steel الذي يأخذ هذا «المنهج الكبير» المنسج للباحث في تطور لروايات وفقر وغنى الامم واسياها وما آلت اليه احوالها مقارنة بنفسها وبغيرها عبر الوقت .. لا يخلو الكتاب من بعض مفاجآت قد يكون تأثيرها في جميعها في كتاب واحد يرصد التاريخ الاقتصادي منذ عام 1000 قبل الميلاد حتى عام 2000 من الميلاد ولكن بتحليل ادق منذ عام 1200 حتى عام 1800 ثم بعمق في التحليل من عام 1800 حتى الزمن الراهن.

وما يخلص اليه الكتاب يمكن تلخيصه فيما يأتي:

ان معظم الناس قد عاشوا عند ذات المستوى من المعيشة مقاسة بالمكتسيات المادية دون قوارق ظاهرة لمدة تقرب من الالف عام المناابقة على الثورة الصناعية.

ان الحدث الأكبر في التاريخ الاقتصادي للعالم هو هذه الثورة الصناعية التي حققت معدلا في النمو الاقتصادي يتجاوز 10 امثال ما كان عليه هذا النمو قبلها لما لا يقل عن 3/ في العام منذ القرن الثامن عشر وذلك في إنجلترا وبلدان الأخرى التي تحققت فيها ابعاد واثار ايجابية لهذه الثورة الصناعية بعدها

وبمقايير مختلفة. رغم النمو الهائل في الاقتصاد العالي في القرنين الماضيين فإن الناس في بلدان كثيرة أسوأ حالا مما كان عليه أبائهم في قرون مضت بما يخص فكرة الانسياب والتساقط Trickle Down التلقائي الشامل لأنار النمو المحقق في بلدان الفنى والتقدم الى بلدان الفنى

العالم اليوم

٢٠٠٨/١/١٤

ستولد دخولا جديد متدفقة من خلال الطلب على المنتجات وزيادة الطلب على العمالة والتشغيل ومن ثم زيادة الدخل وفقا للآليات الراسخة لآثر مضاعف الاستثمار والطلب .. وهذا يأخذ وقته ومضماره ويتحرك بفاعلية كلما زادت مرونة الاقتصاد ودرجة استجابته من خلال أنشطة إنتاجية ومدى اعتماده على مكونات محلية الإنتاج.

لأحت على خاطري صورة هذه الطفلة صاحبة الجائزة وأنا اطالع ما جاء في هذا الكتاب من مسيرة النمو ومكافحة الفقر والشروط المرصودة فيه لمتطلبات التقدم².. ان هذه الطفلة ذات الاستعداد القطري والذهني للانطلاق والتعلم والتسابق والمنافسة وأتبات الذات كحال أبناء وبنات عمرها³.. من المصريين يجب ان تحصل على فرص متكافئة ومنافسة عادلة ليس فقط في مسابقة رمضان ولكن في مسابقة الحياة .. ان هذه الطفلة ومثيلاتها كثيرات اراهن تواقات للمثابرة والاجتهاد تعلمنا ثم مشاركة في سوق العمل ثم انطلاقا في قيادة المشروعات انها واقربنا وقريناتها لا ينتظرون جميعا تساقط ثمار النمو من اهل الغنى.

ولكن هذه الطفلة واقربنا لا يحتاجون الا تكافؤا في الفرص في التعلم والتدريب والرعاية الصحية ونصيبا من الخدمات العامة يعين على الحراك الاجتماعي الايجابي وهي قبل كل ذلك من مبادئ تحقيق العدالة بين الناس التي لا تتقدم الامم الايها.

الايجابية للثورة الصناعية والقدرات على توظيف المعارف النافعة بمهارة في العملية الاقتصادية في بلدان أخرى .. من ضرورة وجود هذه البيئة المواتية المساندة للنمو والتطور والابداع .. وهو ما تحقق لبلدان اخذت تنتشل من فخ الفقر شعوبها وبفضل نمو متواصل مطرد لم يقل عن 7% لمدة 20 عاما متواصلة.

فالنمو المتسارع للصين منذ عام 1980 حقق لها القدرة على انتشار 400 مليون من مواطنيها الى ما فوق خط الفقر .. واذا مارجعنا الى حالة الصين نفسها الى عام 1960 نجد ان النمو الاقتصادي فيها بمعدل 13.7% سنويا من هذا التاريخ قد حقق لها زيادة في متوسط الدخل في عام 2005 بأربعة عشر مثلا لما كان عليه دخلها في عام 1960 .. وقد حققت كوريا الجنوبية زيادة في متوسط دخول مواطنيها بلغت عشرة امثال في اربعين سنة وحققت سنغافورة زيادة مماثلة في خمس وثلاثين سنة .. وهناك امثلة أخرى مماثلة كاليابان وماليزيا وتايلاند او امثلة اقل انجازا بالبرازيل .. لكن كل خبرات الدول المشار اليها قد اشتركت في تأكيد ان النمو الاقتصادي المطرد هو أكثر الادوات كفاءة في تخفيض معدلات الفقر وتحقيق مستوى معيشة افضل للفقراء وتوفير خدمات تعليمية وصحية افضل لهم.

ولكن النمو الاقتصادي وحده وان كان مطردا ليس اكسيرنا ناجعا ... وهو ما يذكرنا كلارك به في حديثه عن البيئة المواتية الصالحة والدافعة للنمو .. فغنى الامم ونجاحها في مكافحة الفقر وتحقيقها للتقدم مرهون بإرساء العدالة بين الناس .. وفي المضمار الاقتصادي لا تتحقق هذه العدالة الا بتكافؤ الفرص للناس كافة دون تمييز .. تكافؤ في فرص التعلم والتدريب والرعاية الصحية ونصيب عادل من البنية الأساسية المعينة لهم على الانتقال والحركة سعيا وراء الزرق.

تكافؤ في فرص الحصول على الموارد الممكنة لهم في المنافسة من تمويل لانشاء المشروعات والمشاركة فيها ملكية لها او العمل فيها وتكافؤ في فرص الحصول على اراض ينشئون عليها مشروعاتهم.

ثم اذا دخلوا الاسواق بمنجاتهم وخدماتهم تتحقق لهم عدالة المنافسة في اسواق تحكمها قواعد الكفاءة وتضبطها معايير رقابية حصيفة .. صارمة في تطبيق القانون دون تمييز .. مرنة في التطور ملائمة للمستحدثات ولما يستجد في الأنشطة الاقتصادية بفضل ابداع الناس وتجديدهم.

عندئذ يمكن الاطمئنان الى ان الدخل المتحققة في قطاعات واقاليم النمو